

قصة آية

3

الغدر والخيانة

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

النشر
المؤسسة العربية الحديثة

للتأليف والنشر والتوزيع
P.O. Box 10000 - 11511
Rabat - Morocco

الغدر والخيانة

قال (تعالى) :

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِشِّمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْتَفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا وَبِعْضِبٍ عَلَى غَضِبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ

[البقرة : ٨٩ ، ٩٠]

منذ زمن بعيد ، وقبل بعثة الرسول ﷺ ،

كان اليهود يعيشون في المدينة المنورة التي

كانت تسمى « يثرب » آنذاك .

وَمِنْ وَقْتٍ لآخرَ كَانَتْ تَنْشِبُ الحُرُوبُ
والصَّرَاعَاتُ بَيْنَ العَرَبِ وَالْيَهُودِ لَأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ
وَمُتَعَدِّدَةٍ ، فَقَدْ كَانَتْ الظُّرُوفُ الاجْتِمَاعِيَّةُ
تُحْتِمُ هَذِهِ الحُرُوبَ ، وَيَبْدُو أَنَّ اليَهُودَ وَمَا عُرِفَ
عَنْهُمْ مِنْ حُبِّ شَدِيدٍ لِلْمَالِ كَانَ لَهُ أَكْبَرُ الأَثَرِ
فِي ذَلِكَ ، حَيْثُ كَانُوا يَسْتَغْلُونَ أَهْلَ المَدِينَةِ
وَيَقُومُونَ بِخَدَاعِهِمْ .

وَلَمْ تَكُنِ المَعَارِكُ تَنْتَهِي لِصَالِحِ اليَهُودِ ، فَقَدْ
كَانُوا قَلَّةً قَلِيلَةً ، كَمَا كَانُوا يَتَصِفُّونَ بِالْجُبْنِ
الشَّدِيدِ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُوَاجَهَةِ العَرَبِ أَوْ
التَّصَدَّى لَهُمْ .

وَاجْتَمَعَ اليَهُودُ لِيَتَدَارَسُوا الأَمْرَ ، وَيَبْحَثُوا عَنْ
السَّبَبِ فِي هَزَائِمِهِمُ الْمُتَكَرِّرَةِ ، وَمَا السَّبِيلُ

لِلانْتِصَارِ عَلَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَخَاصَّةً قَبِيلَةَ
غَطَفَانَ الَّتِي كَانَ لَهَا الْبَاعُ الْأَكْبَرُ فِي هَزِيمَةِ
الْيَهُودِ ؟

قَالَ أَحَدُهُمْ :

- إِلَى مَتَى سَنَنْظِلُ نَتَجَرَّعُ كَأْسَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ ؟
وَقَالَ آخَرُ :

- لَقَدْ جَرَّبْنَا كُلَّ الْحِيلِ وَالْأَلْعِيبِ ، وَمَعَ
ذَلِكَ لَمْ نَنْتَصِرْ عَلَى الْعَرَبِ .
وَفَجْأَةً انْتَفَضَ أَحَدُهُمْ وَقَالَ :

- جَاءَتْنِي فِكْرَةٌ ، سَوْفَ تَخْلُصُنَا مِنْ هَؤُلَاءِ
الْعَرَبِ وَتُؤَمِّنُنَا جَانِبَهُمْ .

فَتَسَاءَلَ الْحَاضِرُونَ فِي دَهْشَةٍ :
- مَا هِيَ ؟ أَسْعَفُنَا بِهَا .

فَقَالَ فِي ثِقَةٍ :

- نحنُ أَهْلُ كِتَابٍ ، أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا التَّوْرَةَ ..
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

فَقَالُوا :

- بَلَى ! وَلَكِنْ مَا عِلَاقَةُ ذَلِكَ بِمَا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ ؟
فَأَجَابَ :

- لَوْ تَدَبَّرْتُمْ آيَاتِ التَّوْرَةِ لَمَا سَأَلْتُمْ مِثْلَ هَذَا
السُّؤَالِ . لَقَدْ حَدَّثْنَا التَّوْرَةَ عَنْ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ ،
يَأْتِي مِنَ الْعَرَبِ وَاسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَهُوَ مِنْ أَحَبِّ
أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ إِلَى اللَّهِ .
وَأَضَافَ قَائِلًا :

- وَتَحَدَّثْنَا التَّوْرَةَ كَذَلِكَ أَنَّ قَوْمَهُ سَيَكْذِبُونَهُ
وَيَحَارِبُونَهُ وَيَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْتِهِ .

أَدْرِكِ الْحَاضِرُونَ مَغْزَى كَلَامِ الرَّجُلِ ، فَشَعَرُوا
بِالسَّعَادَةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ وَانْبَرَى أَحَدُهُمْ يَقُولُ :

- نعم ، يجب أن نسأل الله بحق نبيه الخاتم
أن ينصرنا . كما يجب أن نخبر العرب بأمر
هذا النبي وما سيكون منهم .
وأضاف :

- وعندئذ سوف نؤمن به ، ونكون من أتباعه
حتى يكتب لنا النصر على أعدائنا .

وفي اللقاء الحاسم بين اليهود والعرب ، دعا
اليهود الله (عز وجل) وتضرعوا إليه قائلين :

- اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي
وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا
عليهم .

ولم يخذلهم الله هذه المرة فانتصروا نصراً
مؤزراً على قبيلة غطفان .

وتكرر الدعاء وتكرر النصر كذلك ، حتى إن
اليهود أخذوا يدعون الله ويلحون في الدعاء أن
يبعث الرسول ﷺ حتى يتبعوه ويقاتلوا العرب
والمشركين معه .

وشاء الله أن يبعث رسوله ﷺ بالهدى ودين
الحق ، وأمره أن يدعو الناس كافة إلى عبادة الله
وحده لا شريك له ليخرجهم من الظلمات إلى
النور بإذن الله .

وامتثل الرسول ﷺ لأمر ربه ، فدعا العرب واليهود
والنصارى ، وأرسل رسله إلى البلاد المجاورة .
أما العرب فكان من أمرهم ما هو معروف ،
فقد حاربوه ﷺ وآذوه ، ولم يؤمن منهم إلا قليل ،
وحدثت معارك عديدة بين الفريقين حسمت
في النهاية لصالح الحق والعدل والخير .

وَأَمَّا الْيَهُودُ .. فَكَانَ أَمْرُهُمْ عَجَبًا وَيَدْعُو إِلَى
الدَّهْشَةِ . لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ مِنْذُ قَلِيلٍ يُعْتَرِفُونَ بِرِسَالَةِ
مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ يَبْعَثَهُ
حَتَّى يَتَّبِعُوهُ وَيُحَارِبُوا مَعَهُ الْعَرَبَ وَالْمُشْرِكِينَ .
وَمَا هُوَ ذَا الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُوهُمْ بِالْحُسْنَى
وَيُجَادِلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ
اللَّهِ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا ، وَأَنَّهُ مَذْكُورٌ بِأَوْصَافِهِ فِي
التَّوْرَةِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَصْدُقُوهُ وَيُؤْمِنُوا
بِرِسَالَتِهِ حَتَّى يَنَالُوا رِضْوَانَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) .
وَانْقَلَبَ مَوْقِفُ الْيَهُودِ مِنَ الضَّدِّ إِلَى الضَّدِّ ،
فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ بَعَثَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِفَارِغِ
الصَّبْرِ ، إِذَا بِهِمْ يُكَذِّبُونَهُ وَيَتَأْمُرُونَ ضِدَّهُ
وَيَتَحَالَفُونَ مَعَ الْعَرَبِ وَالْمُشْرِكِينَ ضِدَّهُ
(صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ) .

لقد امتلأت قلوبهم بالغِيظِ والحَسَدِ
للرَّسُولِ ﷺ .

وقال بعضهم لبعض :

- لقد كانت الرُّسُلُ من بني إِسْرَائِيلَ ، فما
بالُ هذا النَّبِيِّ مِنَ الْعَرَبِ ؟

وقالوا :

- لو كان هذا النَّبِيُّ من بني إِسْرَائِيلَ لَاتَّبَعْنَاهُ
وَلَنَصَرْنَاهُ ..

وقالوا الكَثِيرَ والكَثِيرَ ، ممَّا يَدُلُّ عَلَى طَبِيعَةِ
نُفُوسِهِمْ ، حَيْثُ يَكْذِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى
النَّاسِ ، وَلَوْ صَدَقُوا مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ أَنْفُسِهِمْ ،
وَتَجَرَّدُوا مِنْ مَشَاعِرِ الْحَقِّدِ وَالْكَرَاهِيَةِ ، لَأَمَنُوا
بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، لَأَنَّهَا امْتِدَادٌ لِلرُّسُلَاتِ
السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ ، وَهِيَ خَاتِمَةُ الرُّسُلَاتِ الَّتِي

تَضَمَّنَتْ حَقَائِقَ الْوُجُودِ وَحَقَائِقَ الْحَيَاةِ
بِالتَّفْصِيلِ الْإِلَهِيِّ الْمُبِينِ .

وَأَرَادَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ يَكْشِفَ مَوْقِفَ
الْيَهُودِ أَمَامَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَامَ
النَّاسِ جَمِيعًا ، فَأَنْزَلَ قَوْلَهُ (تَعَالَى) :
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

[البقرة : ٨٩]

إِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي دَعَاهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى الْإِيمَانِ
بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ
لِلْعَالَمِينَ ، وَهُوَ كِتَابٌ مُعْجَزٌ فِي نَظْمِهِ وَمَعَانِيهِ
وَقِصَصِهِ وَأَخْبَارِهِ وَمَوَاعِظِهِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ
أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ أَوْ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ .

وهذا الكتابُ الكريمُ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ
وإيتاءِ ذى القربى وينهى عن الفحشاءِ
والمنكرِ والبغى ، وهو نفسُ ما تأمرُ به
وتدعو إليه كلُّ الكتبِ السماويةِ السابقةِ ..
فعلامِ يعجبون ؟

إنَّ الشَّيْءَ الغَرِيبَ حَقًّا هُوَ أَنْ يُكَذِّبَ الْإِنْسَانُ
شَيْئًا وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ صِدْقِهِ ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ
أَحَدٌ أَنْ يَنْكَرَ ضَوْءَ الشَّمْسِ ؟

رَبِّمَا كَانَ لِلْعَرَبِ عُذْرٌ فِي مَوْقِفِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ
كَانُوا أُمِّيِّينَ لَا يَعْرِفُونَ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ ،
وَلَكِنْ مَا عُذْرُ الْيَهُودِ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ أَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ فِيهَا عَنْ
مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ،

وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .. فَكَيْفَ لَا يُصَدِّقُونَ
بِهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ ؟

إِنَّ الْإِجَابَةَ عَنْ هَذَا السُّؤَالَ تَجِيءُ عَلَى لِسَانِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَحَدِ أَهْبَارِ الْيَهُودِ وَكَانَ مِنْ
كِبَارِ الْعُلَمَاءِ ، وَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ..
ذَاتَ مَرَّةٍ قَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ :

- إِنَّ الْيَهُودَ أَهْلُ بُهْتٍ وَضَلَالٍ - أَيْ أَهْلُ كَذِبٍ -
كَأَنَّ الْكَذِبَ طَبِيعَةٌ فِيهِمْ .

وَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ أَنْ يُثَبِّتَ لِلنَّبِيِّ ﷺ
صَدَقَ مَا يَقُولُ فَطَلَبَ مِنْهُ ﷺ أَنْ يَسْأَلَ الْيَهُودَ
عَنْهُ وَعَنْ مَكَانَتِهِ بَيْنَهُمْ بِشَرَطٍ أَلَّا يُخْبِرَهُمْ بِنَبَا
إِسْلَامِهِ .

وَعِنْدَمَا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ عَنْ مَكَانَةِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ بَيْنَهُمْ قَالُوا فِي إِجْمَاعٍ :

- إِنَّهُ عَالِمُنَا وَابْنُ عَالِمِنَا وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا .

فَقَالَ ﷺ :

- أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ أَفْتَسْلِمُونَ ؟

فَقَالُوا :

- حَاشَا لِلَّهِ ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ ، أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ

يُسْلِمَ .

وَعِنْدَئِذٍ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ عَلَى هَؤُلَاءِ

الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ :

- يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، وَاقْبَلُوا

مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا :

- فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ .

وَفِي إِجْمَاعٍ كَذَلِكَ تَغْيِيرَ مَوْقِفِ الْيَهُودِ مِنَ
الضَّدِّ إِلَى الضَّدِّ فَقَالُوا :

- وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا ، وَجَاهِلُنَا وَابْنُ
جَاهِلِنَا .

وَعِنْدَئِذٍ انْدَهَشَ الْحَاضِرُونَ لَطَبِيعَةِ الْيَهُودِ
الْعَجِيبَةِ ، وَالتَّفَتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ إِلَى الرَّسُولِ
ﷺ وَقَالَ :

- أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ
بُهْتَانٌ وَبَاطِلٌ ، وَإِنَّهُمْ أَهْلُ غَدْرٍ وَخِيَانَةٍ ؟
إِنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ

الكثير والكثير . فيجب أن نحذر من اليهود
ونعلم أن الكذب طبيعة فيهم وأن الغدر
والخيانة من أهم صفاتهم . ولعل ما يفعلونه في
فلسطين المحتلة والقدس الشريف خير دليل
على ذلك .

كما يجب أن نتحلى بالصدق والإخلاص
في القول والعمل ، وأن نكون على يقين بأن
القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ، وأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء
 والمرسلين ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح
 الأمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى
أتاه اليقين .

وعلى المسلم أن يُوقن بأن الإسلام هو دين
الحق الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى
النور ، فلا بديل له لكي ينصلح حالنا وتستقيم
أمورنا .

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧

الترقيم الدولي : ٧ - ٣٦٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧